رب بين التقليل والتكثير في العربية

د. تهاني حســـــن الخـــرزة ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية

الملخص:

هذه الدراسة اهتمت بالأداة النحويـــة (رب) في اللغة العربية والتي مبدؤها الدلالـــي هو (التقليل والتكثير)، فالاختلاف حاصل بين النحويين في دلالتها على التقليل والتكثير؛ أي أنهم متفقون ولا يقبلون جدلاً بأنها تدل على أحد هذين المعنيين أو عليهما ، وإنما الخـــلاف في تحديد أي المعنيين أكثر وروداً معها.

والهدف المنشود من هذه الدراسة ، محاولة الوقوف على دلالة تلك الأداة بدقة، ومعرفة حكمها النحوي الذي ساد عليه طابع التشعب.

الكلمات المفتاحية :

التقليل، التكثير، دلالة الأداة، الأحكام النحوية، المعاصرين.

Summary:

This study focused on the grammatical tool (rab) in the Arabic language, whose semantic principle is (reduce and multiply.)

The difference occurs between grammarians in its significance on reducing and multiplying; That is, they agree and do not accept the argument that it denotes one or both of these two meanings, but the difference is in determining which of the two meanings is more common with it.

The desired goal of this study is to try to identify the significance of that tool accurately, and to know its grammatical judgment, which has the character of bifurcation.

Keywords: reduce, multiply, tool significance, grammatical provisions, contemporaries.

المقدمـــــــــة:

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا حبيب قلوبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

وبعد ...

فليس من بكر القول الكلام على أهمية الأدوات في كل اللغات الإنسانية لما تحمله من قيمة لغوية بوصفها رابطا معنوياً لأجزاء الكلام، فأهميتها للغة توازي أهمية المفاصل للجسم البشري، التي تشد أزر أعضائه وتجعل منه كياناً فعالاً.

لذلك لمسنا اهتماماً بالغا في دراستها من لدن القدماء والمعاصرين، فلم يَخْلُ كتاب من كتب النحو العام من الحديث عنها، فضلاً عما أفرد من مصنفات لدراستها وبيان أحكامها وخصاصها لا تخفـــى على القارئ وهذه الدراســـــة خطوة على هذا الطريق، اختصت بتناول الأداة (رب) ، وهي من الأدوات التي ترتبط دلاليا بمبدأ واحد هـــــو (التقليل والتكثير) فكان عنوانها : (رب بين التقليل والتكثير في العربية) ، وقيدنا جهة الدرس فيها بـ (دراسة دلالية نحوية) كي يشمل البحث جزيئات هذه الأداة من جهتي الدلالة والأحكام النحوية.

وكان هدف الدراسة محاولة حسم دلالة الأداة المختلف في دلالتها فضلاً عن معرفة أحكامها النحوية بدقة والوقوف على أصح التراكيب فيها. حاولت جاهدة الاطلاع على ما كتب عن هذه الأداة قديماً وحديثاً ولم أدخر وسعاً من أجل أن تكون دراسة حاوية موضوعها، ولعل من أبرز ما أرى ضرورة لذكره هو أن تحديد خطة البحث التي يتم في ضوئها دراسة الموضوع لم يكن سهلاً؛ فالأدوات ومنها -(رب)- موضوع الدرس مختلفة في بنيتها وتركيبها، وإن كان يجمعها ضبط دلالي واحد.

وقد غَزَوْتُ ما جمعته من معلومات إلى مصادرها الاصلية مستعينة ببعض المواقع على شبكة المعلومات الدولية، فإن وفقت فلله الحمد أولاً وأخراً على توفيقه، وإن حصلت هفوات أو تقصير فالكمال لله وحده، وإني لأرجو من الله -تعالى- أن ينفعني بهذا البحث وينفع به كل من اطلع عليه.

وتم وضع خطة أنجزت الدراسة على وفقها والتي تتكون من مقدمة وخطة البحث المكونة من النقاط التالية :

أولاً- لغات (رب) ، ثانيا- دلالة (رب) ، ثالثا- اختلاف آراء النحويين في دلالتها على التقليل أو التكثير.

أولا- لغات (رب):

تفاوت النحويين واللغويين في تحديد عدد لغاتها [1]، حتى أوصله بعضهم إلى السبعين. فقد ذكر منها ابن السراج أربع لغات، إذ يقول: ((وفي رب: رب، ورب يا هذا، ومن النحويين من يقول: لو سكنت جاز: وربت)) [2]، وذكر منها الزمخشري، سبع لغات في قوله: ((وفيها لغات؛ رُب: الراء مضمومة والباء مخففة أو مضمومة أو مسكنة، ورب الراء مفتوحة والباء مشددة أو مخففة، وربت التاء والباء والمشددة أو مخففة)) [3] ، وساق أبو البقاء العكبري، منها ثمان لغات في معرض حديثه في قوله - تعالى- : **(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)** [4]. في حين بلغت عشر لغات عند ابن الخباز

(ت 639هـ) [5]، وفصل ابن يعيش الحديث في لغاتها التي ذكرها الزمخشري فقال: ((قالوا رُب الراء مضمومة والباء مشدودة وهو الأصل فيها، إذْ لو كان أصلها التخفيف لم يجر التشديد فيها إلا في الوقف أو ضرورة الشعر... وليس الأمر في (رب) كذلك فإنها تستعمل مشددة في حال الاختيار وسعة الكلام وفي الوصل والوقف، وقالوا: رب بضم الراء وفتح الباء خفيفة، ويحتمل ذلك وجوها، أحدها: أنهم حذفوا إحدى الباءين تخفيفا كراهية التضعيف وكان القياس إذا خففت تسكين آخرها؛ لأنه لم يتلق فيها ساكنان، كما فعلوا بأن ونظائرها حين خففوها الا أن المسموع (رب) بالفتح نحو قول الشاعر:[6]

أزهير أذ يشب القذال فإنه رب هيضل لجب لففت بهيضل [7]

كأنهم أبقوا الفتحة مع التخفيف دلالة وأمارة على أنها كانت مثقلة مفتوحة... ويمكن أن يقال: أنما فتح الآخر من (رب) لأنه لما لحقه الحذف وتاء التأنيث أشبهت الأفعال الماضية ففتحت كفتحها، وقيل إنهم استثقلوا التضعيف حذفوا الحرف الساكن لضعفه بالسكون؛ وقد قالوا: رب بالتخفيف وسكون الباء على القياس، حذفوا المتحرك؛ لأنه أبلغ من التخفيف ولتطرفه، وأبقوا الساكن على حاله، وقالوا: ربت، فألحقوه تاء التأنيث كما قالوا: (ثمت) قال الشاعر [8].

ماوي يا ربَما غارة شعواء كاللذعة بالميسم

... وهذه التاء تلحق (رب) ساكنة كما تلحق الأفعال، ومتحركة كما تلحق الأسماء، فنقول: (ربت) بالسكون وربت بالفتح، فقياس من أسكنها أن يقف عليها بالتاء كما يقف على ضربت وقياس من حركها أن يقف عليها بالهاء كما يقف على كيه وذيه، وربما قالوا: رب بضمّ الراء والباء كأنهم اتبعوا الضم الضم ، وربما قالوا: رب ففتحوا الراء اتباعا لفتحة الباء كما قالوا { الحمد لله} [9] فاتبعوا الكسر الكسر مخففة ومشددة [10] وذكر ابن عصفور لها إحدى عشرة لغة [11]، وأبو حيان ثلاث عشرة لغة [12]، وأوصلها المرادي إلى سبع عشرة لغة [13].

ونقل الزبيدي (ت 1205هـ) عن زكريا الأنصاري (ت926هـ) في (شرح المنفرجة الكبير) إيصاله لغتها إلى سبعين إذ قال: ((وفي رب سبعون لغة، ضم الراء وفتحها مع تشديد الباء وتخفيفها مفتوحة في الضم والفتح، ومضمومة في الضم، كل من الستة مع تاء التأنيث ساكنة أو مفتوحة أو مضمومة أو مع (ما) أو معهما بأحوال التاء أو مجرد منها، فذلك ثمان وأربعون، وضمها وفتحها مع إسكان الباء، كل منهما مع التاء مفتوحة أو مضمومة أو مع ما، أو معهما بحالتي التاء أو مجردة، فذلك أثنتا عشرة،

وربت بضم الراء وفتحها مع إسكان الباء أو فتحها أو ضمها مخففة أو مشددة في الأخيرتين فذلك عشر)) [14].

وأحسب أن بعض تلك اللغات لا تسعفها الشواهد الفصيحة، فالذين أوردوا سبعين لغة -مثلاً- لم يقدموا الشواهد الدالة على أن العرب نطقوا بها، يستثنى من ذلك عدد ورد السماع به، وأدون في الآتي ما أمكنني الحصول على شاهده [15].

1- رب: بضم الراء وتشديد الباء مفتوحة، وهي الأصل في لغاتها كما قال ابن يعيش [16] والشواهد عليها كثيرة منها قول الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام): "رُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة"[17]. وقول الفرزدق: [18]

ورب حبيب قد تناسبت فقده يكاد فؤادي إثره يلتهب

2- رب: بضم الراء وتخفيف الباء مفتوحة، وأنشدوا: [19]

أزهير إن يشب القذال فإنه رب هيضل لجب لففت بهيضل

3- 4 ربما وربما: بضم الراء وتشديد الباء أو تخفيفها مفتوحة مع زيادة (ما) وعلى هاتين اللغتين قوله تعالى: **(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)** [20] بتشديد الباء وتخفيفها [21].

5- ربت : بضم الراء وتشديد الباء مفتوحة مع تاء التأنيث المفتوحة وعليها قول الشاعر: [22]

يا صاحباً ربت إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو يسأل عن

6- ربما: بضم الراء والباء مخففتين مع (ما)، وعليهما قراءة الأعشى عن أبي بكر عن عاصم: [23] **(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)**.

7- ربتما: بضم الراء وتشديد الباء مفتوحة مع تاء مفتوحة وزيادة (ما) وعليها قراءة طلحة بن مصرف وزيد بن على وشعبة والاعشى وأبي السمال العدوي [24]. **(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)** وقول حمزة النهشلي [25].

ماوي، بل ربتما غارة شعواء كاللذعة بالمسيم

وفي أصل وضعها خلاف أثنائية هي أم ثلاثية، وتقدم في كلام ابن يعيش إشارة إلى أنها ثلاثية الوضع، وهو ما ذهب إليه أبو حيان النحوي قائلا: "ورب عندنا ثلاثية الوضع وعرض التصرف فيها بالحذف خلافا لابن فضال، [26] إذ زعم أنها ثنائية الوضع فقياسها أن تكون ساكنة كهل وبل، وأن فتح الباء وتخفيفها دون التاء ضرورة لا لغة"[27] وأكد ذلك السيوطي بقوله: "والجمهور على أنها ثلاثية الوضع وأن التخفيف وفتح الراء لغة معروفة"[28].

ثانياً ـ دلالة (رب):

هذه المسألة من مواطن الخلاف بين النحويين؛ والسبب هو تفاوتهم في استظهار معاني النصوص وتوجيهها، فانفتح الباب للتأويل والتوجيه المعنوي، وفيما يأتي محاولة لتتبع المسألة من أصولها سعياً إلى الوقوف على حقيقة دلالتها.

قال الخليل (ت175هـ) "ورب كلمة تفرد واحداً من جميع يقع على واحد، يعني به الجميع كقولك: رب خير لقيته"[29].

وعلى الرغم من أن الخليل لم يصرح بأن معناها يكون تقليلا أو تكثيراً فإن المفهوم من كلامه وفق المثال الذي ساقه أن معناها التكثير فقوله: (رب خير) إفراد للجنس وتعميم للمعنى.

ولم يصرح سيبويه بمعناها ـ أيضا ـ وغاية ما في الامر أنه شبهها بـ (كم) وبـ (كأين) وبـ (قد) وترتب على فهم النحويين لوجه الشبه خلاف في توجيه كلامه بين التقليل والتكثير، فيقول: (اعلم أن (كم) في الخبر بمنزلة اسم يتصرف في الكلام غير منون بجر ما بعده إذا أسقط التنوين... والمعنى معنى (رب)"[30]، وقال: "اعلم أن (كم) في الخبر لا تعمل الا فيما تعمل فيه (رب)، لأن المعنى واحد"[31]، وقال أيضا: "لأن (رب) إنما هي للعدة بمنزلة (كم)"[32]، فالظاهر أنه شبه (رب) بـ (كم) في العمل المعنى.

وقال المبرد مصرحاً بكونها للتقليل: "ورب معناها الشي يقع قليلا ولا يكون ذلك الشي إلا مذكوراً؛ لأنه واحد يدل على أكثر منه. ولا تكون (رب) إلا في أول الكلام لدخول هذا المعني فيها"[33]، وقال في موضوع أخر: "لأنهما لا تخص شيئا، فإنما معناها أن الشي يقع ولكنه قليل فمن ذلك قوله: [34]

يا رب مثلك في النساء غريرة بيضاء قد متعتها بطلاق

واكتفى ابن السراج بنقل كلام المبرد في إفادتها التقليل. دون أن يزيد عليه[35]، وأيد أبو علي الفارسي كونها للتقليل فقال: "رب وهي في التقليل نظير كم في التكثير: فإذا دخلت على النكرة الظاهرة لزمتها الصفة" [36].

ولم يصرح الكوفيون بمعناها فيما أطلعت عليه من كتبهم التي ذكرت المسألة [37].

ثالثاًـ اختلاف آراء النحويين في دلالتها للتقليل أم التكثير: ـ

اختلف النحويون المتأخرون في تحديد معناها وفهم نصوص المتقدمين وتوجيهها، وتعددت آراؤهم فيها، وفي الشواهد الفصيحة التي تعرضوا لها، وفيما يلي بيان لتلك الآراء.

1- إفادتها التقليل :

ذهب إلى هذا المعنى أغلب نحويي البصرة كما رأينا، وأيدهم قسم كبير من الذين جاؤوا بعدهم فقال ابن باب شاذ (ت469هـ): "رب معناها التقليل، والتقليل يتصور في النكرات الشائعات ولا يتصور في غيرها"[38] وقال ابن فضال المجاشعي (ت479هـ): "إن معناها التقليل ولا تدخل إلا على نكرة أو على مضمر يشترط تفسيره"[39].

وعبر الحريري عن معنى التقليل ودافع عنه فيقول: "قولهم: (رب مال كثيراً نفقته) فينقضون أول كلامهم بأخره، ويجمعون بين المعنى وضده؛ لأن رب للتقليل فكيف يخبر بها عن المال الكثير"[40] ورد ابن عصفور على الذين يذهبون إلى أنها للتكثير في موطن المباهاة والافتخار قائلاً: "الذي يدل على أن رب إنما وقعت للمباهاة من حيث يكون فيها التقليل أن رب إذا كانت لغير مباهاة وافتخار إنما تكون للتقليل في كلامهم، فوجب فيها إذا كانت للافتخار أن تكون على حسبها اذا كانت لغير افتخار من إرادة التقليل بها[41]، فهو يذهب إلى أن استعمالها في الافتخار لا يناقض كونها للتقليل.

وقال أبو حيان النحوي:((وفي البسيط: ذهب البصريون إلى أنها للتقليل كالخليل، وسيبويه، وعيسى بن عمر، ويونس، وأبي زيد، وأبي عمر وبن العلا والأخفش، والمازني، والجرمي، والمبرد، والزجاج، وابن السراج، والزجاجي، والفارسي، والسيرافي، والرماني، وابن جني، وجملة من الكوفيين كالكسائي والفراء، وهشام وابن سعدان، ولا مخالف لهم إلاصحاب العين [42] فإنه صرح بكونها للتكثير دون التقليل)) [43].

وقال في الموضع نفسه قاصراً القول بالتقليل على البصريين: "مذهب البصريين أنها للتقليل"[44]، ولم أجد فيما اطلعت عليه من المصادر أن للكوفيين رأياً مغايراً، كما أن أبا حيان نفسه نقل عن صاحب البسيط أن القول بالتقليل هو رأي نحويي البصرة والكوفة.

ورجح المرادي أن تكون للتقليل، فبعد أن أورد أراءً مختلفة للنحويين قال: "والراجح في هذه الاقوال ما ذهب إليه الجمهور، أنها حرف تقليل والدليل على ذلك أنها جاءت في مواضع لا تحمل إلا التقليل وفي مواضع ظاهرها التكثير وهي متحملة لإرادة التقليل بضرب من التأويل فتعين أن تكو حرف تقليل"[45].

2- إفادتها التكثير:

تباين النحويين في توجيه النصوص التي وردت عن سيبويه[46]، فذهب بعضهم إلى أن تشبيهات سيبويه توحي بالتكثير؛ لأن (كم) و(كأين) وحتى (قد) في واحد من معانيها تدل على التكثير، في حين رفض القسم الأخر التفسير، فقال ابن السيد البطليوسي: ((كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن رب للتكثير، وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال: إنما قال: إن معنى الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد، وإن كان الاسم الواقع بعد كم، يدل على كثير، والاسم بعد (رب) يدل على قليل، فيختلفان في هذا الوجه، ويختلفان أيضا في أن (كم) اسم و (رب) حرف، وكذا قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كتاب سيبويه... وحمل كلام سيبويه على هذا جمع بين جميع كلامه دفع لتناقض عنه))[47] ومن أبرز الذاهبين إلى أن كلام سيبويه يدل على التكثير ابن مالك الذي قال: ((وهذا أشرت إليه أن معنى (رب) التكثير هو مذهب سيبويه رحمة الله... ولا معارض له في كتابه، فعلم أن مذهبه كون (رب) مساوية لـ (كم) الخبرية في المعنى، ولا خلاف أن معنى (كم) الخبرية التكثير))[48] وعلى الرغم من أن ابن مالك أيّد أن سيبويه قصد أن معنى (رب) هو التكثير لكنه لم يجعله حكما مطلقاً، وإنما رأيه أنها للتكثير غالباً وللتقليل قليلاً وستناوله لاحقا، وذكرناه هنا للمساعدة على توجيه كلام سيبويه.

ورد المرادي قول ابن مالك، قائلاً: ((وأما قوله: ولا معارض له في كتابه فغير مسلم؛ لأن سيبويه إذ تكلم في الشواذ في كتابه ضمن عادته في كثير منها أن يقول: ورب شيء هكذا يريد أنه قليل نادر... وقال الشلوبين: فكيف يتوهم أنه بقوله: إن معنى (كم) كمعنى (رب) أنهما مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه بضد ذلك))[49].

3- أنها تكون للتقليل والتكثير:

ألمح ابن خالويه (370هـ) لهذا المعنى في تفسير قوله تعالى:(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) [50] قائلا: (فإن قيل: (رب) موضوعة للتقليل، كما وضعت (كم) للتكثير، فما وجه الإتيان لها ها هنا؟ فقل: إن العرب استعملت إحداهما في موضع الأخرى ومنه قولهم: إذا أنكروا على أحدهم حالاً فنهوه فلن ينته: ربما نهيت فأبى))[51]. أي إن استعمال (رب) للمعنيين هو استعمال العرب الذي نزل القرآن به.

وقال ابن السيد البطليوسي: ((ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف[52]: أنها تكون تكثيراً وتقليلاً))[53]، وقال أيضاً: ((أنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر

الفارابي)) [54] وتحرف الاسم عند أبي حيان إلى الفارسي، وتابعة المرادي [55]، ونسب السيوطي رأيا أخر للفارابي فيقول: ((ثالثها: وهو المختار عندي وفاقا للفارابي أبي نصر وطائفة أنها للتقليل غالباً والتكثير نادراً)) [56] بينما نسب الرأي الأول إلى جماعة من المتأخرين نقلاً عن أبي حيان إذ قال: ((موضوعة لهما من غير غلبة أحدهما نقله أبو حيان عن بعض المتأخرين)) [57]، ولا نعلم من هؤلاء؛ لأن أبا حيان نص على أنه مذهب الكوفيين، فقال: ((ومذهب الكوفيين... أنهما يكون تعليلاً وتكثيراً)) [58] ولم أقف على هذا الرأي فيما تيسر لي من كتب الكوفيين ولا وجدت من نسبة إليهم غير أبي حيان.

وعد الدكتور عبد الرحمن الجبوري الذين يذهبون إلى هذا الرأي أكثر مرونة، وأوسع فهماً للمسألة وأعمق نظرا في كلام العرب وشواهدهم القائمة على سنني لغتهم وأساليبها في الاتساع وطرق تعبيرها في التجوز واستعمال لفظة في موضع أخرى [59].

4- أنها أكثر ما تكون للتقليل: قال أبو حيان: ((وقال أبو نصر الفارابي في كتابه الحروف ... أكثر ما تكون للتقليل)) [60]، وهذا النص مخالف لما ذكره ابن السيد البطليوسي، من رأي أبي الفارابي الذي أوردناه آنفاً واختار هذا المذهب السيوطي إذ قال: ((الرابع التقليل غالباً والتكثير نادراً وهو اختياري)) [61].

5- أنها أكثر ما تكون للتكبير: أبرز الذاهبين إلى هذا الرأي ابن مالك الذي يرى أن الصحيح في معنى رب التكثير، ولذا يصلح (كم) في كل موضع وقعت فيه غير نادر، كقول الشاعر [62]:

رب من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنى لي موتا لو يطع

وقول حسان:[63]

رب حلم أضاعه عدم الـ مال وجهل غطى عليه النعيم

وكقول عدي بن زيد [64]:

رب مأمول وراج أملا قد ثناه الدهر عن ذلك الأمل [65]

وأشرت فيما مضى أنه نسب هذا المذهب إلى سيبويه فقال: ((والذي دل عليه كلام سيبويه من أن معنى رب التكثير هو الواقع في غير النادر من كلام العرب نثره ونضمه فمن النظم الأبيات التي قدمت ذكرها ومن النثر قول النبي صلى الله عليه وسلم - : ((**يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم قيامة**)) [66] وقوله - صلى الله عليه وسلم- : (**رب أشعث لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبر قسمه**)) [67]"[68].

وعلق صلاح الدين العلائي (ت761هـ) على هذه الأبيات بقوله: ((أنشد هذه الأبيات ابن مالك وليس التكثير فيها متيقناً، ولكنة ظاهر، وقد يدعى فيها التقليل)) (69).

وأكمل ابن مالك ما بدأه قائلاً "والتقليل بها نادر، وأشار إلى قول الشاعر (70):

ألا رب مولود ليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان

يريد آدم وعيسى عليهما السلام

ومثله قول عمرو بن الشريد أخ الخنساء (71):

وذي أخوةٍ قطعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخا ليا

ومثله (72):

ويوم على البلقاء لم يك مثله على الأرض يوم في بعيد ولادان

أراد (بذي أخوة) دريد بن حرملة قاتل أخيه معاوية بن الشريد، وأراد الأخر يوماً كان فيه غسان ومذحج، في موضع يعرف بالبلقاء (73) وإلى معنى قريب من ذلك ذهب ابن هشام إذ جعل التقليل فيها قليلاً وليس نادراً، فقال: ((وليس معناها التقليل دائماً، خلافاً للأكثرين، ولا التكثير دائما، خلافاً لابن درستويه، وجامعة بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً)) (74).

وأيده الأشموني قائلا: "رب وهي للتكثير كثيراً والتقليل قليلاً"(75).

والخضري الذي قال: "لا يتعلق بشي، وإنما تدخل الإفادة التكثير... أو التقليل قليلاً"(76)، واستشهدوا جميعاً بالشواهد نفسها التي قدمها ابن مالك.

6- أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار:

نسبه أبو حيان إلى بعضهم (77)، والسيوطي الذي قال: ((أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار وللتقليل فيما عدا ذلك، وهو قول الأعلم وابن السيد)) (78).

7- أنها لم توضع لتقليل ولا لتكثير:

وهو اختيار أبي حيان الذي قال: ((وذهب بعضهم إلى أنها لم توضع لتقليل ولا لتكثير، وذلك مستفاد من سياق الكلام، وهذا نختاره من المذاهب)) (79).

وزاد المرادي على كلامه أنها تفيد الإثبات، فقال: ((انها حرف إثبات لم توضع لتقليل ولا تكثير بل ذلك مستفاد من السياق)) (80).

8- أنها لمبهم العدد تقليلاً وتكثيراً:

ذكره أبو حيان، فقال: ((وقال ابن الباذش [81]، وابن طاهر [82]، هي لمبهم العدد تقليلاً وتكثيراً)) [83].

ويرى الاستاذ عباس حسن أن معناه قد يكون التكثير وقد يكون التقليل، وكلاهما لابد فيه من القرينة التي توجه الذهن إليه، ولهذا كان الاستعمال الصحيح للحرف (رب)، وما دخل عليه أن يجئ بعد حالة خالية من اليقين (كالظن والشك) تقتضي النص على الكثرة أو القلة، كأن يقول قائل: أظنك لم تمارس الصناعة، فتجيب: رب صناعة نافعة مارستها. فقد جاءت الآداة (رب) وجملتها لإزالة أمر مظنون قبل مجيئها، ومثال دلالتها على الكثرة: رب محسود على جاهله احتمل البلاء بسببه، ورب أمل في صفاء الزمان قد خاب. ومثال القلة قولهم: رب غاية مأمولة دنت بغير سعي، ورب حظ سعيد أقل بغير انتظار، والقرينة على القلة والكثرة في الأمثلة السابقة هي التجارب الشائعة التي يعرفها السامع، ويسلم بها [84].

ويتفق الدكتور فاضل السامرائي مع الأستاذ عباس حسن في أن معناها تحدده القرآن [85]، ويرى من جانب أخر: ((أنها لفظة أول ما وضعت للدلالة على الجماعة، قليلة كانت أو كثيرة، ثم كثر استعمالها في التقليل بل في أقل القليل أيضا، وهو الواحد ثم تستعمل للتكثير أيضاً، والذي يدل على ذلك لفظها فهي كما يبدو... مأخوذة من الربة، والربة الفرقة من الناس، قيل هي عشرة آلاف ونحوها والجميع ربب... والربة هي الجماعة)) [86].

وأكد الدكتور رمزي منير بعليكي المعنى الثاني الذي ذهب إلها الدكتور فاضل السامرائي، فهو يرى أن جذرها اللغوي هو (ربب) الذي يشير إلى الكثرة والنماء وأن المقارنات أثبتت أنه موجود في اللغات السامية كالعبرية بالمعنى نفسه[87]، واستناداً إلى هذا الجذر اللغوي قال: ((وبناءاً على هذه المعاني، يبدو لنا أن المعنى الأصلي لـ (رب) هو التكثير، وإن كانت تستعمل للتقليل، ولعل الجامع بين معنيي التكثير والتقليل هو المبالغة في كل، ومرجع هذا إلى السياق والأسلوب))[88]، ويرى الدكتور محمد جاسم معروف: ((أن (رب) تفيد التقليل في الغالب فإن دل دليل على أن المراد بها التكثير فهنى تفيد التكثير، ولا داعي للقول بأن ظاهره التكثير ولكن المراد به التقليل، وذلك لأن ما جاءت فيه (رب) وظاهره التكثيركثير، لذا نقول إن تأويل الكثير مشكل ومتعسف كما أن هناك مواضع يجب أن تكون فيها (رب) للتكثير وإلا فإنه يفسد المعنى وذلك في مواضع المباهاة والافتخار مثلا))[89]. وما قاله المعاصرون من أن دلالة (رب) يحددها السياق والقرائن يقترب من السياق كثيراً، إلا أنه يجب التعامل مع دلالتها في ضوء تنوع

حالاتها التركيبية، وأعني أن يكون (رب) مظهرة ومجردة من الاتصال بـ (ما) معنى ودلالة مستقلة عن دلالتها مضمرة أو متصلة (ما) بها. فالظاهر من النصوص يدل على أنها مظهرة غير متصلة بـ (ما) تحتمل المعنيين التقليل والتكثير والفيصل في تحديد الدلالة هو السياق والقرائن كما رأينا في الشواهد التي تقدمت والتي كان مدار توجيه دلالتها هو اختلاف النوحيين في القدرة على استظهار النص وتجلية معناه.

وإذا نظرنا في النصوص التي وردت فيها متصلة (ما) بها وجدناها تأتي غالباً في سياق التكثير، كقول جذيمة الأبرس[90]:

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات [91]

والمعنى أنه يفخر بأنه يصعد الجبل بنفسه ليستطيع أعداءه ولا يعتمد في ذلك على غيره[92]، ولا أرى في هذا المعنى غير التكثير، إذا إنه يكثر منه العمل حتى صار يسيراً لديه ومدعاة لا فتخاره.

وقول أبي دؤاد الإيادي [93]:

ربما الجامل من المؤبل فيهم وعناجيج بينهن المهار [94]

والمعنى أنه ربما وجد في قومه القطيع من الإبل المعد للقنية وجياد الخيل الطويلة الأعناق التي بينها أولادها، وهو ظاهر الافتخار بالتكثير.

وقول أوس بن حجر [95]:

قتلنا ونال القتل منا وربما يكون على القوم الكرام لنا الظفرة

مراد الشاعر: إن فشا فينا القتل فكثيرا ما قتلنا قوما كراماً قبل، فإن الحرب سجال، يوم لنا يوم علينا، وبهذا يحسن الاعتذار والتمدح [96] ويؤيد زاعمي هذا ما قاله علاء الدين الأربلي: ((والجمهور على أنها للتقليل وهو الصحيح، إذ لم تفد التكثير إلا وهي مقرونة بـ (ما) وحينئذ لا نزاع... أن رب مع (ما) قد تفيد تكثير النسب وتحقيقها))[97]، وإذا انتقلنا للحديث عن الواو النائبة عن (رب) أو العاملة عملها نجد بعض النحويين أشار إلى أن الغالب في معناها في تلك الحالة التقليل كما عند صلاح الدين العلائي الذي قال: ((ويكون التقليل في حالة الواو أولى منه في حالة إظهار (رب)، وهذا قوي جداً، فأنه لا يوجد شاهد بهذه الواو والمعنى فيه للتكثير، إنما ذلك جميعه عند ظهور (رب))[98].

إلا أننا لو تأملت النصوص التي نابت فيها لواو عن (رب) لما وجدنا معنى التقليل أو التكثير ظاهراً، بل نجد المعنى هو الإخبار ولكن بأسلوب متميز هو الجر بالواو.

ففي قول ليل الأخيلية [99]:

وذي حاجة قلنا لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل

نفهم الإخبار المجرد من التقليل والتكثير، فهي تريد أن تقول إن هناك شخصا ذا حاجة جعلناه ييأس من الحصول عليها، وقول امرئ القيس [100]:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليا بأنواع الهموم ليبتلي

أفهم من هذا البيت أنه يظهر شكواه وجزعه من هذا الليل الطويل الجاثم على صدره.

وقول أبي طالب [10]:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والمعنى : هنا كما أفهم على الإخبار فهو يمدح شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقول : هو أبيض؛ فلا تقليل ولا تكثير.

وظاهر الأبيات التي نابت فيها (الفاء) و(بل) عن (رب) أنها أيضا تفيد الاخبار، فقول امرئ القيس [102]:

فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

على الرغم من أنه مسوق للفخر فذلك لا يمنع أن الشاعر، يخبر عن نساء في ذهنه وقد تكون امرأة واحدة فقط.

وفي قول رؤبة بن العجاج [103]:

بل بلدٍ ملء الفجاج قتمه لا يشترى كتانه وجهرمه [104]

فالشاعر يخبر عن بلد واحد قصده ملء الطريق غباره. وهذا التوجيه يسهم في حل مشكل الدلالة والمعنى الخاص بـ (رب) المتصلة (ما) بها، والنائبة عنها الواو والوفاء وبل، يبقى الإشكال قائماً مع (رب) المظهرة المجردة، ولا حل له غير السياق والقرائن كما قرر من ذكرنا رأيه.

الخاتمة

وقد توصلت إلى نتائج اختتمت بها من خلال دراستي لبعض مسائل ومن أبرزها:

1- المبدأ الدلالي للأداة (رب) هو التقليل والتكثير.

2- تعددت لغات (رب) حتى أوصلها بعضهم إلى السبعين.

3- أن الاختلاف حاصل بين النحويين في دلالتها على التقليل والتكثير؛ أي أنهم مسلمون بأنها تدل على أحد هذين المعنيين أو كليهما وإنما الخلاف في تحديد أي المعنيين أكثر وروداً معها.

4- أن السياق هو الفصيل في تحديد دلالة الأدوات، فلا يمكن تحديد دلالة أي أداة بمعزل عن سياقها كما أن الدلالات التي قالها النحويين هي نتيجة استظهارهم للنصوص الفصيحة وكان الذوق الخاص والفهم الشخصي للنحوي أثر في توجيه النصوص نحو هذه الدلالة وتلك، وهو ما لمسناه في الأداة (رب).

5- تشعبت آراء النحويين في دلالة (رب) إلى ثمانية أقول، وذكرت أن دلالتها مجردة مظهرة تختلف عن دلالتها إذا كانت الواو والفاء نائبتين عنها، وتختلف دلالتها إذا كانت متصلة (ما) بها مع عدم إغفال أثر السياق في الدلالة.

تلك أهم نتائج البحث...

وختاماً ادعو من الله أن يكون ما قدمت عملاً ينتفع به الناس... والحمد رب العالمين أولاً وآخراً.

الهوامـــــــــش :

القرآن الكريم

1- انظر: المقرب: أبو الحسن بن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري ود/ عبد الله الجبوري بغداد1986م، 220، وشرح التسهيل لابن مالك تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد بيروت 2001: 175/3، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي تحقيق أحمد الخراط: دمشق، 1975: 192.

2- الأصول: أبو بكر السراج، تحقيق د/ عبد الحميد الفتلي: ط/2، بيروت 1987م، 418/1.

3- المفصل في صنعة الأعراب للزمخشري، بوبه الدكتور: على أبو ملحم، بيروت 1993م/ 383.

4- انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: تحقيق إبراهيم عطوه، مصر 1961م 72/2 وسورة الحجر الآية 2.

5- انظر: الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية: أبو العباس بن الخباز، تحقيق: حامد العبدلي الأنبار 1990: 188/1.

6- هو أبو كبير الهذلي: ديوان الهذليين مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة 1965/ 89/2.

7- الهيضل: الجماعة.

8- هو ضمرة بن ضمر النهشلي، انظر النوادر في اللغة أبو زيد الانصاري تحقيق سعيد بن عبد الله الخوري ط/2 بيروت 55/1967، والأزهية في علم الحروف: علي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق ،271/1971.

9- سورة الفاتحة: الآية (1)، وكسر الدال قراءة الحسن البصري زيد بن على وآخرين، انظر: اتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر المسمى: منتهى الأمالي والمسرات في علوم القراءات أحمد بن محمد الدمياطي، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل بيروت 122/1987.

10- شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش بيروت (د، ت) 32،31/8.

11- انظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور تحقيق صاحب أبو جناح الموصل 1980-505/1/1982.

12- انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي تحقيق د/ مصطفى النحاس القاهرة 456/2/1987.

13- انظر الجنى الداني: حسن بن قاسم المرادي تحقيق: طه محسن الموصل 1976: 424.

14- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، الجزء الثاني تحقيق: علي هلال مصر 1965، 475/2.

15- انظر للإستزادة: رب في العربية (دراسة نحوية) د/ عبد الرحمن الجبوري بغداد (2002): 30-37.

16- نظر شرح المفصل: 31/8.

17- نهج البلاغة: من كلام: أمير المؤمن علي بن أبي طالب (عليه السلام) شرح محمد عبده بيروت (د.ت) 91/4.

18- ديوان الفرزدق: دار صادر للطباعة النشر، دار بيروت للطباعة والنشر 1960: 72/1.

19- تقدم في ص =3 من هذا البحث.

20- سورة الحجر الآية: 2.

21- قرأ عاصم ونافع بالتخفيف، والباقون من السبعة بالتشديد، انظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، تحقيق د/ شوقي ضيف القاهرة/ 1972:67.

22- انظر الأزهرية: 271، وشرح المفصل: 32/8، ولم أقف على اسم القائل.

23- مختصر في (قراءات) القرآن من كتاب البديع: الحسين ابن خالويه عنى بنشره برجستر أسر، مصر 1934:70.
24- انظر المصدر السابق الموضع السابق.
25- انظر الأزهية:271، وشرح المفصل 31/8.
26- هو علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي، انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر 1964م: 183/2.
27- ارتشاف الضرب: 456/2.
28- همع الهوامع شرح الجوامع: جلال الدين السيوطي: تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم الكويت 1979، 173/4.
29- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/مهدي المخزومي و د/ إبراهيم السامرائي، بغداد 1985 (رب): 258/8.
30- الكتاب: أبو بشر بن عمرو سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط/3، القاهره 1988، 161/2ومثله في 156/2.
31- المصدر السابق: 162/2.
32- المصدر نفسه: 274/2 وقوله للعدة أي: للعدد.
33- المقتضب: محمد بن يزيد المبرد تحقيق: محمد عبد الخالق عضمية، بيروت (د،ت)، 139/4، 140.
34- هو ابن محجن الثقفي انظر شرح المفصل 126/2.
35- انظر الأصول: 4161/1 و417.
36- الإيضاح العضدي: أبو على الفارسي تحقيق: حسن شاذلي فرهود، مصر 1969م 251/1.
37- انظر مواضع ذكر (رب) من: معاني القرآن أبو زكريا الفراء تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة 1955: ج/2 تحقيق محمد على النجار القاهرة (د،ت) 82/2، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليه أبو بكر الأنباري: تحقيق: عبد السلام هارون، ط/2، مصر (د،ت): 32، 33، وجامع البيان في تفسير آي القرآن: أبو جعفر الطبري، ط/2 بيروت 1972: 14/2.
38- شرح المقدمة المحسبة: طاهر بن أحمد بن بابشاذ: تحقيق خالد عبد الكريم الكويت 1976م: 239/1.
39- شرح عيون الإعراب: ابن فضال المجاشعي: تحقيق د/حنا جميل حداد، الأردن 1985: 192.
40- درة الغواص في أوهام الخواص: القاسم بن علي الحريري: أعادت طبعه بالأوفيست مكتبة المثنى بغداد (د،ت): 119.
41- شرح جمل الزجاجي: 501/1.
42- المشهور أن (العين) للخليل، ولكن المراد به - كما يبدو أول النص - غيره.
43- ارتشاف الضرب: 455/2.
44- المصدر السابق: الموضع نفسه، والعبارة محرفة في المطبوع، ونصها: ((وهو مذهب البصريين أنها للتقليل)).
45- الجني الداني: 418.
46- تقدم في ص:5.
47- المسائل الأجوبة ابن السيد البطلوسي، ضمن (رسائل في اللغة)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد 1964: 139-140.
48- شرح التسهيل: 45/3، 46.
49- الجني الداني: 423.

50- سورة الحجر: الآية: 2.
51- الحجة في القراءات السبع: الحسين بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت 1971: 205.
52- راجعت كتاب الحروف المطبوع للفارابي وهو بتحقيق: محسن مهدي (بيروت 1986، فلم أجدله رأيا في رب في هذا الكتاب).
53- المسائل والاجوبة: 138.
54- المصدر السابق: 140.
55- رجح محقق الجنى الداني الدكتور طه محسن أن يكون ذلك تحريفا، لأنه لم ينقل عن أبي علي الفارسي أن له كتاباً باسم (الحروف) نظر ارتشاف الضرب: 455/2، والجنى الذاني 418 وهامشه.
56- همع الهوامع 175/4.
57- المصدر السابق: الموضوع السابق.
58- ارتشاف الضرب: 455/2.
59- انظر رب في العربية: 42، 43.
60- ارتشاف الضرب: 564/2.
61- الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت 1988، 163/1 وانظر همع الهوامع: 175/4.
62- هو سويد ابن أبي كاهل: انظر خزانة الادب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، والرفاعي، الرياض: 1982: 123/6.
63- ديوان حسان بن ثابت: تحقيق د/سيد حنفي حسنين القاهرة، 1974: 378.
64- ديوان عدي بن زيد: جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد 1975م: 99.
65- انظر شرح التسهيل: 44/3 و45.
66- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل، بيروت (د،ت) طبعة الأوفيست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإسطنبول 1401هـ: 60/2.
67- المصدر السابق: 29/6.
68- شرح التسهيل: 96/3.
69- الفصول المفيدة في الواو والمزيدة: صلاح الدين العلاتي، تحقيق: د/ حسن موسى الشاعر، عمان 1990: 245.
70- هو رجل من أزد السراة، انظر: شرح أبيات سيويه: أبو جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد: النجف 1914: 252.
71- انظر: د يوان الحماسة لأبي تمام (رواية الجواليقي) تحقيق: د/ عبد المنعم أحمد صالح بغداد 1980: 534/1.
72- لم أقف عليه.
73- شرح التسهيل: 46/3 47.
74- مغنبي اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري: تحقيق: مازن المبارك ومحمد على حمد الله ط/6، بيروت 1985: 180/1.
75- شرح الأشموني علي الفية ابن مالك نور الدين الأشموني تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت 1955: 298/2.
76- حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك محمد بن علي الخضري بيروت (د،ت): 128/1.

77- انظر ارتشاف الضرب: 455/2.
78- همع الهوامع: 175/4.
79- ارتشاف الضرب: 455/2 وانظر همع الهوامع 175/4.
80- الجني الداني: 418.
81- هو على ابن أحمد بن خلف الغرناطي (ت528هـ).
82- هو محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت بعد سنة 580هـ) (بغية الوعاة: 28/1).
83- ارتشاف الضرب: 456/2، وانظر همع الهوامع: 175/4.
84- انظر النحو الوافي: عباس حسن ط4، مصر 1973: 522/3.
85- انظر معاني النحو الدكتور فاضل السامرائي، بغداد 1991: 37/3.
86- المصدر السابق: الموضع السابق وانظر لسان العرب: جمال الدين بن منظور بيروت 1956: 391/1 و392.
87- انظر فقه اللغة المقارن الدكتور رمزي منير بعلبكي بيروت 1999: 241، 242.
88- المصدر السابق: 242.
89- انظر: رب في الدراسات اللغوية والنحوية: د: محمد جاسم معروف بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد 49 سنو 2000: 101.
90- انظر الكتاب: 153/2، والدور اللوامع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع، أحمد بن الأمين الشنقيطي مصر 1910، 99/2.
91- أوفيت: أشرفت، العلم: الجبل، والشمالات: جمع الشمال من المربع.
92- انظر هامش مغني اللبيب 180/1.
93- انظر الازهية: 275، وخزانة الأدب: 586/9.
94- الجامل: القطيع من الإبل مع رعائه وأربابه، والمؤبل: بزنة المعظم: المتخذ للقنية وعناجيج: جمع عنجوج وهو الخيل الطويل العنق والمهار جمع مهر وهو ولد الفرس.
95- كذا نسبه في الفصول المفيدة:256.
96- انظر خزانة الأدب: 3/10.
97- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب علاء الدين الأربلي قدم له محمد مهدي الخرسان، ط/2، النجف 1970 218، 219.
98- الفصول المفيدة: 260.
99- ديوان ليلي الاخيلية تحقيق خليل إبراهيم العطية وجليل العطية بغداد 1389هـ:95.
100- شرح ديوان امرئ القيس حسن السندوبي: ط/4 القاهرة 1968 /115.
101- ديوان ابي الطالب: جمع أبي هفان عبد الله بن أحمد النجف، 1356هـ 38.
102- ديوان امرئى القيس بشرح السندوبي 147.
103- ديوان رؤية ابن عجاج: تحقيق وليم بن الورد: بيروت 1979: 150.
104- الفجاج: الطرق والقمم : الغبار، الكتاب: نوع من القماش والجهرم: البساط من الشعر.